الدبلجة وآثارها الاجتماعية والثقافية في القنوات الفضائية العربية ـ المسلسلات المدبلجة كعينة للبحث ـ

عبد الغاني عراب
جامعة باجي مختار
عنابة ـ الجزائر ـ
ar_abdelghani@yahoo.fr

ملخص:

لقد كان لتطور وسائل الإعلام والاتصال في نهاية القرن العشرين وبشكل يمثل قفزات واسعة في حقل الاتصال أدى إلى ظهور وسائل اتصال تعبر عن حقيقة العصر الذي يشهد عولمة كل شيء.

ومن بين أهم التقنيات الاتصالية الجديدة، البث التلفزيوني على الأقمار الصناعية والذي يقصد به عملية البث الصوري والصوتي المبرمج الهادف على الأقمار الصناعية من مكان إلى آخر على مسافة الكرة الأرضية وقد اقترن هذا المصطلح مع ظاهرة الهيمنة الاتصالية للدول المتقدمة والتي وجهت أنظارها لاحتراف المجتمعات الأخرى وبالذات دول الجنوب، لإحداث تغيرات جوهرية قيما وسلوكا بحيث تستمر في تبعيتها وتخلفها عن مجاراة دول الشمال التي ستستمر في الاستحواذ على خيراتها ومواردها يعني صالح شعوب هذه الدول كما هو الحال مع المجتمع العربي.

من خلال عنوان المداخلة يمكن طرح التساؤلات الآتية: ما هي الدبلجة وما هي التقنيات المستخدمة فيها ؟ ما هو واقع وآفاق الدوبلاج في الوطن العربي ؟ كيف يمكن تقييم المناخ السمعي البصري (التلفزيون) في الوطن العربي ؟

كلمات مفاتيح: خطاب سمعي بصري؛ دبلجة؛ تلفزيون؛ قنوات فضائية؛ ثقافة؛ وطن عربي.

واقع البرامج التلفزيونية في الوطن العربي:

تحول التلفزيون العربي إلى وسيلة الاتصال الجماهيري الأولى الأكثر انتشارا وتزداد القناعة بأن البرامج التلفزيونية المقدمة من خلالها تؤدي دورا كبيرا في توجيه والتأثير على الرأي العام العربي، ولذا حاولت الأنظمة العربية تجنيد هذه الوسيلة على النحو الذي تريده وبالاتجاه الذي تحدده رغم أن الجماهير تندفع إلى التلفزيون وتنجذب إليه بدافع التسلية والترفيه (على الأغلب) وهكذا تزداد حدة التناقض بين السلفة التي تحاول أن تستخدم التلفزيون لمصالحها الآنية وبين الجماهير التي ترى أن التلفزيون للتسلية فقط.

ونظرة عامة إلى واقع البرامج التلفزيونية التي تبثها المحطات العربية يؤشر لنا أن الأنظمة العربية عملت على :

1. احتكار ملكية أغلب المحطات التلفزيونية.

2. تأسيس المحطات التلفزيونية استجابة لمعطيات خدمة سياساتها أكثر منه محاولة لإشباع حاجات الجماهير.

3. التلفزيون ومن خلاله البرامج المقدمة في ظروف افتقر فيها المجتمع العربي إلى الكثير من المقومات الفنية والمادية. والواقع أن أزمة البرامج المعروفة على القنوات العربية يستوجب العمل الجاد لتفعيل حرية التعبير التي تنص عليها قوانين المطبوعات العربية باعتبارها خطوة مهمة في الاتجاه الصحيح، والواقع أن أزمة البرامج المقدمة لا تتعلق بالجانب التكنولوجي المستخدم فتقرير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يشير إلى أن تقنيات المقال الجماهيري المستعملة لدى البلدان العربية هي من أحدث ما هو متوفر في أسواق الدول الصناعية،

والعرب من أكثر المستهلكين لها في العالم، حتى غدت بعض المحطات العربية معارض لأحدث ما هو متوفر في العالم.

جدول يوضح تاريخ دخول التلفزيون إلى البلدان العربية:

رقم التسلسل	البلد	سنة الدخول
1	العراق	1956
2	الجزائر	1956
3	لبنان	1959
4	مصر	1960
5	سوريا	1960
6	الكويت	1961
7	السودان	1962
8	المغرب	1962
9	اليمن	1964
10	السعودية	1965
11	تونس	1966
12	الأردن	1968

13	ليبيا	1968
14	الإمارات العربية	1968
15	قطر	1970
16	البحرين	1973
17	عمان	1973
18	فلسطين	1995

تعريف الدبلجة: الدوبلاج: Doublage

تعرف الدبلجة على أنها ترجمة للخطاب السمعي البصري بمعنى ترجمة الحديث الصادر عن الشريط أو الفيلم ترجمة دقيقة (صوت وصورة) وتعتمد على الأساليب العلمية المتبعة في هذا الإطار. وتعني الكلمة نقل الفيلم من لغته الأصلية نقلا كليا عن طريق إضافة الصوت سواء كان حوارا أو تعليقا أو مؤثرات صوتية وغيرها. ليناسب البلد التي يتم عرض الفيلم فيها، وتسمى "نسخة العرض" وترتبط هذه الفكرة ارتباطا وثيقا بفكرة الوطنية، والاعتزاز بلغة الوطن حتى يتسنى للمشاهدين فهم أحداث المادة الفيلمية المصورة، وإدراك ما يدور فيها من معان من خلال الصوت، وتهتم محطات التلفزيون العربية منذ افتتاحها بدبلجة الأفلام الأجنبية إلى اللغة العربية وخاصة الأفلام القصيرة ولعض الأفلام الطويلة مثل فيلم "عمر المختار" و"الرسالة" الخ. بالإضافة إلى دبلجة الأفلام ذات الصيغة الإنسانية أو العلمية أو التاريخية الهادفة من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية، وذلك تماشيا مع دورها في نقل روائع الغرب. وتبدأ العملية بترجمة حوار الفيلم الأصلي إلى اللغة العربية من

النص الأصلي للفيلم، وإن لم يكن هناك نص مكتوب تتم الترجمة الفورية عن طريق السمع، كما يوجه بعض الرموز إلى السويتشر لتنعيم الصورة تدريجيا وتلاشيها أو الظهور التدريجي بالمصطلح FADE IN-OUT وذلك كبداية أو نهاية للبرنامج، أو كفواصل بين فقرات البرنامج الأساسية وكذا تذويب الصور DISSOLVE عند انقضاء الوقت، أو تغيير المكان فيما بين منظرين متتاليين، وطبيعي فإن هذه الرموز والمصطلحات معروفة لجميع العاملين في أستوديو التلفزيون تماما، وقد يحدد النص التلفزيوني نوع اللقطات المطلوبة كما في الأعمال الدرامية، وطبيعي لا توجد قاعدة عامة لاستعمال هذه المصطلحات وإنما يحددها الأثر البصري المطلوب، وتختلف من برنامج إلى آخر باختلاف مراحل الإنتاج الخاصة بها.

واقع الدبلجة في الوطن العربي:

رغم أن أغلب الدول العربية عبر التلفزيون بها إلا أن غالبية البرامج والأفلام المقدمة بها لم ترتقي إلى الدرجة التي يأمل المشاهد من خلال تحقيق رغباته وطموحاته من خلالها.

لقد عرفت التلفزيونات العربية الدبلجة منذ القرن العشرين إلا أن تلك المحاولات كانت جد محتشمة ومقتصرة فقط على برامج الأطفال والصور المتحركة وعلى العموم البرامج الموجهة للتسلية والأطفال ولم تعرف الدبلجة المنطلق الحقيقي والمعروف لها الوطن العربي إلا مع بداية عرض المسلسلات الأجنبية المدبلجة وعلى الخصوص الأفلام المكسيكية والبرازيلية مع بداية العقد الوطني من القرن العشرين (التسعينيات) وكان ذلك بمثل نقلة نوعية في تقديم المسلسلات الأجنبية على القنوات العربية حتى قبل دخول عصر الفضائيات والتي إن صح

القول ساهمت إلى حد ما في حصر عرض هذه المسلسلات إلا أنها لم تقضي عليها أبدا.

تغيير مسلسلات "أنت أو لا أحد" و" أنا كريستينا" ثم اطونيك أولى من في المسلسلات المدبلجة التي دأبت التلفزيونات العربية عرضها عبر مختلف قنواتها، وكان النجاح الكاسح لهذه المسلسلات فاق كل التصورات، حتى علق الأستاذ سعيد بن عائض الزهواني (رئيس الاتحاد الإعلامي العرب 1996) أن هذه المسلسلات لم تلق في بلدانها الأصلية ربع النجاح التي حققته في الدول العربية عند عرضها".

وللوقوف أكثر على أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح عرض هذه المسلسلات نذكر أهم الخطوات التي اتبعت في دبلجة هذه المسلسلات وفترة عرضها ومنها ما يلي:

1. لم يتعوذ المشاهد العربي على رؤية مسلسلات أجنبية باللغة العربية الفصحى حيث كانت تبك مفاجأة بالنسبة للمشاهد العربي الذي لم يألف مثل هذه الأمور.

2. التراجع الكبير للإنتاج السمعي البصري العربي على العموم وعدم جدية الإنتاج المعروض في معالجة الأمور الهامة.

3. بساطة مواضع المسلسلات المدبلجة المقدمة والتي في غالبيتها تعالج المواضيع الاجتماعية والعاطفية.

ترجمة الخطاب السمعي البصري وعلاقته بالدبلجة:

الدبلجة وأثاره الاجتماعية والثقافية في القنوات الفضائية العربية "المسلسلات المدبلجة":

1. بعض إشكاليات البث الفضائي العربي:

لقد أضحت عولمة الإعلام تهدد تراث الشعوب بالانقراض وإحالته إلى الأرشيف الوطني. إن ما تقدمه القنوات الفضائية الوافدة تجاوز كما ونوعا وتأثيرا ما تقدمه القنوات التلفزيونات المحلية للملتقي بحكم تطور أساليب صناعة الرسائل الإعلامية والثقافية وتقدم مستوياتها وتركيزها على الإبهار والتنوع واستخدامها للقدرات البشرية والمالية والتقنية ومنجزات العلم فضلا عن اهتمامها بالرأي الآخر وتمحورها حول الجمهور بطريقة مبتكرة.

فالبث الفضائي عبر الأقمار الصناعية قد نجح في تجاوز الحدود السياسية للدول وتمكن من الوصول إلى المشاهدين في كل أنحاء العالم وأصبح جمهوره جمهورا عالميا مختلف الأهداف والغايات والثقافات ولكنه يشترك في كونه يتعرض لذات القنوات التي تستهدفه لأسباب وغايات تشكل الأسباب الإنسانية أضعفها وبرز في هذا الخصوص تحد مهم هو مخاطبة كل البشر على اختلاف بيئاتهم وتنوع مشاربهم في وقت واحد وهو تحد تستدعي استخدام عوامل عديدة : تكنولوجية ومادية وثقافية وغيرها. والواضح أن هذه العناصر تحكم فيها الدول الكبرى المصنعة التي تسعى إلى قولبة العالم وتنميطه ثقافيا وسياسيا وميزتها هي امتلاكها لعناصر الاقتدار العلمي الذي يشكل الإطار الفعلي للثقافة العصرية والتي تعمل هذه الدول على تعميمها على العالم.

إن الوطن العربي قد تأثر بهذه الظاهرة كما تأثر من قبل بالقنوات المحلية وفي ذلك يلاحظ اندفاع الدول العربية لإنشاء محطات فضائية حكومية والتي ازداد عددها في الأعوام الأخيرة تبث برامجها عبر أقمار عربية وأوروبية وأمريكية عديدة ويصل بثها إلى أنحاء كافة الوطن العربي بلى ومعظم أنحاء العالم وقد تسنى للمشاهد العربي من خلال متابعة ما يجري في العالم من أحداث ووقائع.

ومع ذلك فإن الإعلام العربي وجد نفسه صعب ناتج عن الحضور المكثف للقنوات الفضائية الأجنبية في المشهد الإعلامي العربي التي تتنافس في توسيع رقعة المتابعة والمشاهدة وتبليغ رسائلها إلى أكبر عدد ممكن من الجمهور وما يكرس هذه الناحية توجه فئة عريضة من الجمهور العربي لإشباع حاجاته من المشاهدة عبر ما تقدمه القنوات التلفزيونية الدولية وهذا يعني أن الإشكالية المطروحة ليس في إنشاء محطات إعلامية وقنوات تلفزيونية بل في كيفية استثمارها واستغلالها لصياغة مضمون خطاب إعلامي وثقافي وحضاري عربي قادر على الحضور والتأثير مع باقي المضامين الدولية ومؤهل لتطوير ذاته بشكل مستمر.

إن تحليل محتوى ما تبثه القنوات الفضائية العربية يشير إلى أغلب الدول العربية لا تمتلك حتى الآن رؤى إستراتيجية لكيفية توظيف قنواتها الفضائية لخدمة سياستها الخارجية ومصالحها الوطنية أو لنشر الثقافة العربية الإسلامية والتصدي للهجوم الموجه على العروبة والإسلام بل إن الخطاب الإعلامي العربي لم يتكيف ويتواءم مع طبيعة التدفق الإعلامي والإخباري في عصر القنوات الفضائية وهذا يعني أن الملتقى العربي سيظل أسير القنوات الإعلامية والثقافية الوافدة من الخارج نظرا للفراغ الذي تتركه الفضائيات العربية إزاء حاجات الجمهور العربي كما أن غياب المعلومات الأساسية حول واقعة يدفعهم في أغلب الأحيان إلى

محاولة الحصول عليها من قنوات الدول المتقدمة وهذا يعني أننا أمام تحد كبير يصعب مجاراته فالدول العربية لا تملك إمكانية الشراكة المتكافئة مع المؤسسات الإعلامية العالمية العملاقة لكونها الحلقة الأضعف في العملية بسبب عدد من القيود التي تكبلها ومنها :

1. المناخ السائد وهو مناخ حافل بإجهاض مشاريع التنمية والتعاون والتكامل.

2. العنصر البشري ويتمثل في نقص أصحاب الرؤية المستقبلية للعمل التلفزيوني المعاصر وكذلك نقص المهنيين والفنيين والمهندسين وخبراء تقييم تكنولوجيا المعلومات.

3. متغيرات تنظيمية حيث تعاني المؤسسات الإعلامية العربية-و بخاصة الرسمية من الجمود الذي يعيق قابلية سرعة التكيف عندها أو إحداث التغيرات اللازمة لمواكبة الجديد.

4. عدم التجانس، هناك عدم تجانس عربي على الأصعدة السياسية والاقتصادية بدرجة أساس- وربما الثقافة أيضا- وهو ما يصعب معه إيجاد تكتل حقيقي أو واقعي.

وقد انعكس هذا الواقع على خطاب الإعلامي العربي الذي تنتجه المؤسسات الإعلامية الضعيفة بحيث يتعامل مع الحدث بعد وقوعه لأنه غير قادر على توقع النتائج ولذلك فإنه يخفي الحقائق أو بعضها وهذه تفقده الثقة وتدعو المشاهدة للتفتيش على الحقيقة بوسائل أخرى وهو ما يفسر توجه الجمهور العربي المتلقي إلى وسائل الإعلام الأجنبية بحثا عن تفصيلات وبيانات جديدة أو معلومات مختلفة حول أي حدث وهو ما لا يتوفر في أغلب محطات التلفزة العربية ذات الطابع العام في عرض الأخبار بحيث أصبح الخبر في معظم الأحيان شكليا وغير كامل.

هذا فضلا عن كون الإعلام العربي أكثر تركيزا على الأحداث والوقائع الآنية التي تجعل المتلقي ينشغل بأحداث يومه أكثر من انشغاله بمستقبله وأكثر من انشغاله بمقومات بناء الشخصية القومية بالرغم من أن وظيفة الإعلام لا تقتصر على نقل الأخبار فحسب بل تتعدى ذلك إلى الإسهام في مجمل مقومات الثقافة وعليه فقد كان تركيز الإعلام على الجانب الإخباري الآني على حساب التركيز على المقومات الثقافية يشكل قصورا في أداء الإعلام لوظائفه الاجتماعية وهو ما ينذر بمواجهة مشكلة خطيرة تتمثل في طغيان ثقافة إعلامية هابطة المستوى ومفرغة من المحتوى محلية المنشأ ومستوردة تقدم قيما اجتماعية وفكرية بعيدة عن مشاغل المجتمع العربي وطموحاته.

ويتم هذا الغزو الفضائي لمجتمعنا العربي ونحن نقف مكتوفي الأيدي والذي أحدث مشكلة نجمت بسبب كون التطور الحضاري الحاصل في تقنيات الاتصال هو تطور لابد منه ولكنه في الوقت نفسه يمثل ترسيخا لقيم ومبادئ الطرق الأخرى والتي يستهدف منها التأثير على الأجهزة السياسية أكثر من محاولة التثقيف أي أنها تمثل عملية اختراق من الثقافة الغربية عبر قنوات الإعلام العربي إلى ثقافتنا وكياننا العربي الإسلامي والذي يتزامن ويرافق ما تنفقه الدول العربية وبشكل غير متوازن على البرامج والرسائل المستوردة ويشمل ذلك أيضا وسائل الاتصال وبشكل جاهز والذي يعود مرده إلى أننا لم نستطيع أن ننشئ صناعات حقيقية في مجال الفضاء فنحن مستوردون للتكنولوجيا بكل أنواعها باستثناء ما تقوم به بعض الأقطار من عمليات تجميع أحيانا .

إن علينا مواكبة الآخرين في مجالات ثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وعدم اليأس بسبب اتساع حجم الهوة بين الشمال والجنوب في المادة الإعلامية بل يجب التعمق في البحث والصدق في تناول المادة الإعلامية الوافدة عبر القنوات الفضائية واستثمار الكفاءات العلمية

الوطنية والاعتراف بالحق في الاختلاف ودفع الإعلام العربي نحو الإعلام المضاد وتهميش الخطاب الإعلامي الوافد على ما يقتصر على المضمون الوطني وبما يتلاءم مع ما يطرح ضمن الواقع العربي .

إن أخطر ما يواجه العالم اليوم وبالأخص أقطار الوطن العربي هو التسابق الدولي في مجال تكنولوجيا الإعلام المتطورة والتي لها تأثير مباشر في وسائل الاتصال والعملية الاتصالية وفي تدفق الأخبار والمعلومات وما يترتب على هذه العملية من أبعاد سياسية وثقافية واجتماعية .

إن أكبر الأخطار على مستقبل الإعلام العربي هو عدم الإلمام بالتكنولوجيا واجتياز المنطقة الخطيرة للاستعمار الجديد المتمثل بالتبعية الفكرية والتكنولوجية والذي هو أخطر من التخلف بل هو تكريس له وخاصة بعدما أصبح العالم يمر بمرحلة إعادة تشكيل وهيكلة للأعمدة السياسية في السياسات الخارجية بعدما حصل من التطورات الكبيرة في ثورة التكنولوجيا والاتصال السريع منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى الآن .

وفي مقدمة ذلك هذا التسابق الدولي للهيمنة الفضائية وتدفق المعلومات والسيطرة الثقافية التي باتت تهدد مستقبل النظام الإعلامي وستكون ظاهرة دولية في ظل (الهيمنة الكونية) والتي عن طريقها سيكون النظام الإعلامي الدولي ملكا مطلقا للذين يملكون الأقمار الصناعية وتكنولوجيا المعلومات الأخرى.

2. ملاحظات على محتوى القنوات الفضائية العربية:

إن القنوات الفضائية العربية على الرغم من تعددها لكنها لا تلبي الطموح العربي إذ أن تعدد القنوات الفضائية العربية لا يكفي بل لابد أن

تكون هذه القنوات في مستوى فكري وفني يمكنها من اجتذاب المشاهد العربي ومنافسة القنوات الأجنبية وعليه لا بد أن تكون هذه البرامج من نتاج عربي مشترك ليجد فيها المشاهد العربي ما يعبر عن خصوصيته القطرية وهويته العربية وطموحاته الإنسانية لأن إمكانيات أية دولة عربية لوحدها تبقى عاجزة عن قدرة مواجهة الاختراق الإعلامي والثقافي الوافد عبر الأقمار الصناعية كما أن طبيعة الأنظمة العربية وتوجهاتها وسلوكها القائم ونظام الفكر السائد أعجز عن توفير الأسلحة الضرورية ذلك لأن التصدي لهذه الظاهرة الإمبريالية لا يمكن أن تحقق النجاح إلا من خلال عملية تحصين الذات العربية عبر عمل عربي مشترك مدروس بشكل علمي ذو أفاق قومية عربية خالصة باستثمار مشروع أقمار عربسات أو أية مشاريع مناسبة.

إن الاتهام يوجه إلى أغلب القنوات العربية كونها متأثرة بالأسلوب الغربي وترويج لقيامهم وأسلوب حياتهم كما أن واحدة من إيجابيات القنوات العربية أنها كسرت احتكار البث الأجنبي في مجالات الترفيه والبرامج الإخبارية والسياسية من خلال تقديمها بعض المواد المناسبة للواقع العربي في مجال الترفيه وإبراز جانب من وجهات النظر العربية في القضايا السياسية لكن في نفس الوقت تواجه القنوات الفضائية العربية سيلا من الانتقادات لأنها لا تزال أسيرة المناهج القطرية للأنظمة العربية التي يرتبط أغلبها بالمصالح الأمريكية والإسرائيلية مما انعكس سلبا على عمليات التغطية الإخبارية والبرامج السياسية التي غالبا ما تعطي انطباعا بأنها لا تجير لصالح القضايا العربية وخير دليل على ذلك تغطية القنوات العربية لقضايا مصيرية للأمة العربية مثل قضيتي فلسطين وقضية العراق.

حيث يلاحظ أن نسبة الانحياز للمواقف المساندة لسياسة العدوان والاحتلال الأمريكي الصهيوني على العراق وتبرير الاحتلال تصل إلى

90% في مقابل 10% من الأخبار التي تأتي هي الأخرى بطريقة مشوهة ونفس الشيء بالنسبة لتغطية الأحداث في فلسطين.

إن أغلب القنوات العربية فقدت بريقها لأنها لم تحافظ على خصوصياتها الإعلامية والتزامها المهني الذي يمكن أن ينقذها من تسلط الأنظمة العربية التي تمتلك هذه القنوات فالمهنية العالية في العمل الإعلامي وسيلة لطرح وجهات النظر بشكل يعكس الحقائق لا أن يظهر جانب ويخفي جوانب أخرى وعلى سبيل المثال نلاحظ أن القنوات العربية عملت قبل وأثناء وبعد احتلال العراق على عكس الرؤيا التي لا تظهر حقيقة وجوهر الاحتلال وأهدافه والممارسات البشعة للمحتلين ولم تبرز أن هذا الاحتلال هو ضد العراق والأمة العربية والإسلامية والإنسانية وأنه يفتقد أية مبررات قانونية أو شرعية كما لم تظهر جرائم المحتلين اليومية وإنما درجت على الأخبار من وجهة نظر لا (تغيض) الإدارة الأمريكية بل إن هذه القنوات تركت المحتلين وذهبت لتقلب في سجلات الدولة العراقية وكأنها تحاكم متهما غائبا لا يستطيع أن يدافع عن نفسه أمام تهم ثبت أنها مفبركة بعيدة كل البعد عن الحقيقة كما أنها تتناول وبشكل مريع ومشوه جزء من فعاليات المقاومة الباسلة للشعب العراقي فباعتراف المحتلين أنفسهم تتم يوميا عشرات الأعمال ضد الاحتلال إلا أن الذي يذكر في أخبار هذه القنوات ما تنقله الروايات الأمريكية وحلفائهم وهو أسوء ما تقوم به هذه القنوات ضد شعب العراق والأمة العربية كما أن القنوات الفضائية العربية توجه أخبارها وبرامجها الحوارية لتناقش كل شيء إلا أوضاع ومشاكل الدول التي تنتمي إليها أو تنطلق من أراضيها وهذا يدل أن الحرية المزعومة لهذه القنوات هي حرية ضد الآخرين وحق يمارس خارج الحدود فقط كما أن روائح بعض الأهداف والنوايا التي تخدم أعداء الأمة العربية من صهاينة وأمريكان وبريطانيين بدأت تفوح بشكل أكثر وضوح في الكثير من القنوات بشكل

مباشر وفاضح حيث الترويج للمشروع التوسعي لإسرائيل والقبول بالأطروحات الأمريكية التي تريد أن تحقن الأنظمة العربية بحقن مصول الديمقراطية على الطريقة الأمريكية وإلا ... سيكون مصيرها الاحتلال وقد وضعوا أمامهم نموذجا حيا وهو احتلال العراق رغم أن المبررات مختلفة تماما ولكن النتيجة المطلوبة واحدة وهي إخضاع الأمة العربية والإسلامية للإرادة الأمريكية الصهيونية.

ورغم هذه الملاحظات السريعة وغيرها إلا أن هذه القنوات بين فينة وأخرى تقدم برامج (قليلة جدا) فيها شيء من الصحو والضمير لأصحابها أمام مسؤوليتهم اتجاه أمتهم وشعبهم العربي ونتمنى أن تتوسع هذه البقعة الطيبة لتكون أكثر تعبيرا عن حقيقة ما يجري في الأمة العربية والإسلامية فلا نطلب من القنوات الانحيازية ولكن نطالبهم بالموضوعية المهنية وأن يعطوا لكل ذي حق حقه ... أليس هذا هو دور الإعلام ؟!!

3. نظرة عامة إلى القنوات التلفزيونية الفضائية العربية:

كانت البداية الفضائية في الوطن العربي منتصف السبعينات من القرن العشرين في محاولة اللحاق بعصر الفضاء ومواكبة متغيراته في مجال اتصال والمعلومات من خلال البث الفضائي وشبكة الأنترنات وغيرها وكان استحداث المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات) خطوة رائدة في الاتجاه الصحيح للتعامل مع عصر الفضاء وتحدياته الإعلامية والحضارية وامتلاك أحدث الوسائل التقنية التي تمكن الإعلام العربي من أداء رسالته الحضارية إعلاميا وإنسانيا في الحفاظ على الهوية العربية في عصر العولمة والمعلوماتية.

وكانت الخطوة الأولى من خلال إطلاق القمر الصناعي (Arabsat) عام 1985 الذي اعتبر نقطة تحول في الاتصال الفضائي

العربي وفي مطلع التسعينيات من القرن الماضي تم إطلاق القمر المصري (Nilesat) وتوفر إمكانيات القمرين خدمة أكثر من ثلاثين قناة فضائية عربية مكنت ربط الإنسان العربي كما شهد العقد الأخير من القرن الماضي تطور ثورة المعلومات بما أبدعته من تطور هائل وسريع في مجال تكنولوجيا الاتصال ووسائله المتنوعة.

إن أغلب العالم العربي مغطى بعدد كبير من الأقمار الصناعية المباشرة حيث تستخدمها القنوات الخاصة أو الحكومية وأزداد عدد الفضائيات العربية خلال السنوات الأخيرة عبر شركات الأقمار الصناعية وظهور معطيات ومفاهيم جديدة أصبحت تتشكل عبر شاشات التلفزيون في ملايين المنازل العربية في عصر الأقمار الصناعية التي اقتحمت الحدود وألغتها.

ومع بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ازدادت القنوات الفضائية العربية لكي تلبي احتياجات العالم العربي وللحفاظ على الهوية القومية في عصر السماوات المفتوحة وعد إطلاق الجيل الثالث لأقمار عربسات خطوة فاعلة أتاحت للقنوات الفضائية العربية الدخول في مجال الإرسال الرقمي لقد حتم الواقع الفضائي الجديد على القنوات التلفزيونية العربية محاولة إعادة صياغة الخطاب الإعلامي العربي ليكون متنوعا ليساهم في تأصيل الهوية الحضارية للمواطن العربي ويعزز قدرته على التعامل مع الواقع الجديد تعاملا مدركا وليسهم أيضا في تبصير الرأي العام العالمي بقضايانا المصيرية والعادلة وفي مقدمتها قضايا العراق وفلسطين كسب التأييد والتضامن معها.

4. القنوات الفضائية العربية:

تختلف أسباب إطلاق الفضائيات العربية وطريقة بثها فعدد من هذه القنوات تبث عن طريق الشبكات الأرضية، ومثال ذلك (ليبيا

والسودان) وهناك دول أقامت نظامها الفضائي لربط محطاتها التلفزيونية المحلية كلها في شبكة واحدة للتبادل (سلطنة عمان - الجزائر).

وهناك دول قامت بربط تلفزيونها المحلي بالقمر الصناعي العربي (مثل اليمن) لنقل نفس البرامج التي تبثها القناة الأرضية. وهناك عدد من القنوات الفضائية العربية سخرت للتعريف بسياسات دولها. وثقافتها خارج حدودها مثل مصر وسوريا وكذلك في شمال أفريقيا الموجهة بالدرجة الأساس إلى المغتربين المغاربة في الدول الأوروبية، وهناك عدد من القنوات الفضائية العربية صممت خصيصا للبث الخارجي لأسباب تجارية أو سياسية غير مباشرة كقناة دبي والقناة السابعة التونسية.

والواقع إن تأسيس المحطات الفضائية العربية كانت بدوافع ذاتية صرفة، لا تختلف كثيرا عن دوافع إنشاء المحطات المحلية التقليدية، ولذلك لم تختلف سياستها عن سياسة المحطات المحلية بل تقاربت، وفي الأغلب تطابقت معها، فالرسالة لا تزال واحدة وذات طابع تقليدي وتفتقر هذه المحطات للشخصية المتميزة. فضلا عن عدم وجود خطة برامجية شاملة، وعدم وضوح أهدافها وإهمالها للجمهور وعدم تلبية حاجاته بالرغم من محاولة إشراكه الشكلية في بعض البرامج الخدمية والترفيهية وقد اضعف ذلك من قدرات هذه القنوات على جذب المشاهدين العرب في ظل تنافس قوي مع الفضائيات الوافدة التي تتميز بقدرات كبيرة في مجال التغطية، والتأثير، والإنتاج الغزير الذي يستقطب المشاهدين.

صحيح أن المنافسة قد ساعدت على تطوير البرامج المختلفة ومنها الأخبار لكنها لم تتمكن من تغطية ساعات الإرسال بالبرامج المحلية لأسباب اقتصادية، أو فنية، أو بشرية، مما اضطرها إلى استيراد برامج مختلفة يحمل أكثرها قيما ومفاهيم تتناقض مع القيم العربية، وتؤثر

سلبا على الخطط التنموية، الوطنية، وقد ساعد هذا على ترسيخ الهيمنة والتبعية، ولعل المتتبع للمضمون الذي تطرحه أغلب الفضائيات العربية يجده حبيس التصورات الضيقة للأنظمة العربية ، وتقوم هذه القنوات بذلك في سياق الحفاظ على السلطة وربما على المجتمع العربي كي لا يتأثر بالصورة الأجنبية وهي بذلك لن توفق بإشباع حاجات المواطنين العرب، بل تمثل احتياجات النخبة السياسية الحاكمة ورغباتها. كما أن معظم المؤسسات الإعلامية العربية تقوم بتحول التلفزيونات المحلية إلى تليفزيونات فضائية عبر توجه البرامج نفسها إلى الجمهور المحلي والخارجي دون الأخذ بخصوصية المشاهدة، فضلا عن اختلاف المجال والجمهور والأهداف. وهكذا تستقي القنوات الفضائية العربية مضامينها من اجتهادات قاعدة خاطئة حيث نرى تشابه نشرة الأخبار الموجهة إلى داخل القطر مع الموجهة إلى خارج القطر. ويصبح التركيز على إنجازات القطر الحيز الأساسي للبرامج، ولذلك يتذرع واضع السياسة البرامجية بكون الركيزة التي تقوم عليها عملية صيانة مضامين نسق البرامج الثقافية والإعلامية هي الحفاظ على استمرارية الوعي بما يجري داخل القطر وإبقاء استمرارية التجانس بين مواطني الخارج والداخل، رغم أن ذلك يعد تجاوزا للخصائص المفترضة للبث عبر الأقمار الاصطناعية. وهي أي المحطات الفضائية وإن كانت قد قامت على مبدأ سياسي كشكل من الأشكال السيادة، فلم يختلف كثيرا عما تبثه المحطات الأرضية والذي يتسن بضعف القدرة على تلبية حاجات الجمهور المتزايدة من المعرفة وارتقاء الذوق، وحسن الاختيار يضاف إلى ذلك أن المضمون الثقافي في الفضائيات الحكومية قد تحول على الأغلب إلى مادة دعائية فاقدة المحتوى التأثير.

غير أن بعض المحطات الفضائية العربية بالرغم مما سبق استطاعت أن تؤكد وجودها من خلال حجم المشاهدة والتي تحظى بها،

ولعل من يتابع عدد من الفضائيات العربية يلمس أن محتويات أو مضامين برامجها يميل إلى جعل الخطاب الإعلامي العربي خطابا منفتحا يأخذ بالمعطيات الحضارية على مختلف مواقعها الجغرافية، والتاريخية، فهي تحاول أن تعكس عبر برامجها تباين البنيات الثقافية للمجتمعات العربية في إطار المحيط الحضاري العام المشترك من خلال إبراز المعايير والقيم، والقواعد، والأدوار الاجتماعية التي تظهر التباينات المعرفية المنعشة للذات والهوية العربيتين.

وقد نجد أيضا تناولا إعلاميا للخصوصية المجتمعات المحلية ومميزات تفكير أفرادها. رغم أن هذه المعطيات قد تكون غير كافية لرسم الملامح المعقولة في قنوات فضائية سيما في غياب برمجة متكاملة تتطرق لكل محاور التعدد الثقافي الذي يفتقر له العالم العربي، لقد كانت أولى بالقنوات الفضائية أن تتجاوز نواقصها خصوصا انغلاقها، ورقابتها الشديدة، ومع تكريس توجه أعلامي متحرر يخلق نوعا من التوازن في المحيط المشترك بين الخاص والعام.

أن توجه الفضائيات نحو الجمهور العربي وإشراكه في العملية الاتصالية سيقربها منه، وسيحفزها على تبليغ "الصوت العربي وصورته إلى العالم الخارجي الأجنبي.

ويجب على الفضائيات العربية جعل الوسائط التلفزيونية وسائط تقويم بتدعيم التغيير الإيجابي للمجتمع، وانتقاد القيام السلبية والتعامل مع كل فعاليات الثقافة المحلية والعربية والعالمية ومكوناتها بشكل إيجابي غير أن المعطيات الحالية تبرز أن مجمل البرامج التليفزيونية ذات المضامين الثقافية مازالت تخضع للقيود نفسها، ربما أفرزت ذلك الواقع طبيعة الاستثمار الاقتصادي، والتمويل المادي الذي يتدخل بقوة في

تيسير عملية الإنتاج من أجل الحفاظ على بعض المصالح المادية والثقافية والإيديولوجية.

وعلى العموم تستلزم الصناعة الإعلامية عبر البث الفضائي وضع سياسية اتصالية شاملة، وتخطيط معرفي متكامل من خلال تأطير أفضليات المشاهدين، وتحديد رغباتهم الثقافية والمعرفية، لأن ذلك سيساعدها على استمرارها وتطوير خدماتها الإعلامية، كما يستلزم الأمر مواكبة تطورات التقنية في المجال البث والإنتاج التلفزيوني ، والسمعي والبصري عموما.

والواقع أن أغلب القنوات العربية وإن كانت تعمل على أساس معين لاستقطاب الإعلام أو المشترك. فأنها من أجل ذلك بدأت في تفعيل بعض البرامج التلفزيونية واشتراك المشاهدين فيها. (منها بعض البرامج الثقافية).

وقد نجحت بعض المحطات في تقديم برامج مختلفة ومتنوعة، غير أن السمة الغالبة تكمن في تقليد الفضائيات الأخرى لأي برنامج ناجح تبثه أو تقديم برنامج أخر يحمل فكرة نفسها وأن اختلف في شكل إخراجه، وعلى العموم فالمهم أن بعض الفضائيات عززت عملية الحوار وسمحت بظهور الأطراف المختلفة على الشاشة، ونظمت النقاشات، والحوارات المتعلقة بالشؤون الخاصة والعامة وهذا يوحي بتباشير انفتاح فكرنا الاجتماعي ليتمكن من التصدي للشؤون الثقافية. وهو يعني أن أعلامنا بات يقارب الزمن الذي نعيشه. وهذا يستدعي ضرورة تجاوز العوامل التي تعوق التحديث ومتابعة التطورات السريعة في الشكل والمضمون والأسلوب، والذي ينعكس سلبا على الأداء المهني، ويحول دون الإبداع، والقدرة على صياغة البرامج وتقديمها بالشكل الأمثل، أو الأقرب لتحقيق الهدف المطلوب من الرسالة الإعلامية.

خلاصة:

من خلال العرض السابق لواقع الدبلجة في القنوات التلفزيونية الفضائية العربية على الخصوص يمكن القول أن هذا السلوك الإعلامي (الدوبلاج) إن صح القول لم يرقى بعد إلى المستوى الذي من خلاله يمكن للمشاهد العربي إن يستفيد من البرامج والحصص المدبلجة المعروضة.

بالواقع يثبت أم جل البرامج المدبلجة (أفلام ومسلسلات أجنبية) لا تعالج في الأساس الواقع العربي من حيث المشاكل والظواهر المراد دراستها ومنه يمكن القول أن حركة الدبلجة التي اجتاحت الوطن العربي في العقد الأخير من القرن العشرين لم تكن سوى كذر الرماد في العيون ولكن هذا لا ينفي أن هناك محاولات جادة وسليمة من بعض القنوات التلفزيونية العربية لجعل المشاهد العربي يستفيد أكثر من البرامج المعروضة عليه.

وأخيرا يمكن القول أن حركة الدبلجة على مختلف أشكالها وأنواعها محكوم عليها بالزوال وهذا نتيجة للتطور التقني الحاصل في تكنولوجيا الاتصال وإن كانت موجودة حاليا لكن على مستوى ضيق والمقصود بهذا التطور التقني هي الأجهزة التلفزيونية التي تحوي على مترجم آلي يقوم بترجمة كل البرامج إلى اللغة التي يفهمها المشاهد (حاليا أغلب الأجهزة الموجودة تتوفر فقط على برامج بالإنجليزية الفرنسية والألمانية) وربما في المستقبل القريب سوف تجهز الأجهزة المعروضة ببرامج أكثر كفاءة وبلغات متعددة وبالتالي يصبح الدوبلاج الذي تقوم به الجهات المتخصصة دون جدوى أو تأثير.

المراجع العربية

1. إبراهيم الداقوقي، نظام الإذاعة العراقية، مجلة حوليات الإعلام، العدد 2، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الإعلام، 1982.

2. إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، القاهرة، دار الفكر العربي، 1985، الجزء الأول والثاني.

3. أحمد ثابت، العولمة والخيارات المستقبلية، مجلة المستقبل العربي، العدد 240، شباط 1999.

4. أحمد نجيب، الخصائص الإيجابية والسلبية للراديو والتلفزيون وانعكاساتها، القاهرة، اتحاد الإذاعات العربية، 1972.

5. أخبار الإذاعات العربية، مجلة الإذاعات العربية، العدد (4)، تونس، 1993.

6. أخبار الإذاعات العربية، مجلة الإذاعات العربية، العددان (2،3)، تونس، 1992.

7. أديب خضور، مساهمة القنوات الفضائية العربية في صد الغزو الثقافي الأجنبي، أليسكو، تونس، 1998.

8. أديب خضور، الإعلام العربي على أبواب القرن الواحد والعشرين، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، سلسلة أوراق شهرية، أيلول 1997.

9. إريك هوليسندجر، كيف تعمل الوسائط المتعددة، ترجمة مركز التعريب والترجمة، الدار العربية للعلوم، بيروت، 1995.

10. أسامة بدري محمد صالح، تلفزيون العراق وتنمية وعي الجمهور بالأمن الاجتماعي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000.

11. أسامة مهدي غانم، البرامج السياسية في قناة الجزيرة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، 2002.

12. أسيل وليد عبد اللطيف، العنف وبرامج الأطفال التلفزيونية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة بغداد، 2002.

13. انشراح الشال بث وافد على شاشات التلفزيون، القاهرة، دار الفكر العربي، 1994.

14. أوستن راني، قنوات السلطة أو تأثير التلفزيون في السياسة الأمريكية، ترجمة موسى جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.

15. إياد شاكر البكري، عام 2000 حرب المحطات الفضائية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999.

المراجع الأجنبية

1. Balbaki K, Munir, Al Moored Modem English Arabic Dictionary, Beyrout, 11 Malayn 1971.

2. Ber Danid K. The Process Of Communication, San Fransisco, Holt, Rine Hert And Winstom, 1960.

3. David Berlo, The Process Of Communication Ho-Rinehart And Winston, Inc, New York, 1960.

4. Desmond Davis, The Grammer Of Television Production, London, 1966.

5. John L. And Sandy Hutcheson; Communication In Face To Face, Ponguin Books. Inc. 1972.

6. Klapper. J ; The Effects Of Mass Communication N.Y. The Free.1960.

7. Nelson L, And Others; Community Structure And Change NY., Macmillan, 1962.

8. Rogers M, Ererett; Modernization Among Peasants : The Impact Of Communication NY., Holt And Winston Inc. 1971

9. Ruden D. Brent; Communication And Human Behavior NY., Macmillan Publishing Co., 1984.

10. The Atlenta Braves, What Satellite TV Magazine, London, October, 1993.